تشكيل صورة أهل البيت في شعر أحمد الوائلي

- القرآن مصدراً -

أحمد حمزة محمد الربيعي
طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران
ahmedre76aa@gmail.com
د. فضل الله مير قادري (الكاتب المسؤول)
أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران
sfmirghaderi@gmail.com
د. حسين كياني
أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز، إيران
hkyanee@yahoo.com

Formation of the image of the Ahl al-Bayt in the poetry of Ahmad al-Wa'ili: The Qur'an as a source

Ahmed Hamzah Mohammed
PhD Student , Department of Arabic Language and Literature , Shiraz University , Iran
Dr. Fazlollah Mir Qadri (Responsible Author)
Professor , Department of Arabic Language and Literature , Shiraz University , Iran
Dr. Hossein Kiani
Associate Professor , Department of Arabic Language and Literature , Shiraz University , Iran

الملخص:-

لقد وظف الشعراء الآيات القرآنية كأدلة على الحق، وكمرجعية أخلاقية، وكمصدر لا ينضب للرموز والدلالات العميقة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان، حيث جعلوا من شخصيات أهل البيت عليهم السلام وأحداث تاريخهم رموزاً كونية للثبات على المبدأ، والتضحية من أجل القيم، ومقاومة الظلم في كل أشكاله. إن هذا التوظيف الحيوي والمبدع للتراث الديني يؤكد استمراريته كمكون أساسي في الهوية الثقافية والروحية للشعر العراقي، وقدرته على تقديم إجابات ورؤى تتحدى تعقيدات الواقع المعاصر، مع الحفاظ على جذوره الضاربة في عمق الإيمان والتاريخ ومن هذا المنطلق سيكون محور هذه الدراسة، هو إظهار وبيان مصدر من مصادر تشكيل صورة أهل البيت عليهم السلام وهو القرآن الكريم، وسنبين كيف وظف الشاعر أحمد الوائلي القرآن الكريم في قصائده التي تخص أهل البيت عليهم السلام باعتبارهم امتداد واحد ووحدة واحدة لا تتجزأ، من خلال الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي؛ لقدرته على وصف وتحليل الصورة التي تجلت في شعر الوائلي بحقهم.

الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، أهل البيت، احمد الوائلي.

Abstract:-

Poets have employed Quranic verses as evidence of truth, as moral references, and as an inexhaustible source of profound symbols and meanings that transcend the boundaries of time and space. They have transformed the personalities of the Ahl al-Bayt (peace be upon them) and the events of their history into universal symbols of steadfastness to principles, sacrifice for values, and resistance to injustice in all its forms. This vital and creative use of religious heritage confirms its continuity as a fundamental component of the cultural and spiritual identity of Iraqi poetry, and its ability to provide answers and visions that challenge the complexities of contemporary reality, while preserving its roots deeply rooted in faith and history. From this perspective, the focus of this study will be to reveal and explain one of the sources shaping the image of the Ahl al-Bayt (peace be upon them): the Holy Quran. We will demonstrate how the poet Ahmed al-Wa'ili employed the Holy Quran in his poems, which address the Ahl al-Bayt (peace be upon them), as a single, indivisible entity. This approach utilizes a descriptive-analytical approach, which is able to describe and analyze the image manifested in al-Wa'ili's poetry regarding them.

Key words: The Holy Quran, Ahl al-Bayt, Ahmed al-Waili.

المقدمة:ـ

يعد التراث الديني الإسلامي، ممثلاً بالقرآن الكريم، الركيزة الأساسية والأصل الأصيل الذي استمد منه أحمد الوائلي (رحمه الله) مادته الفكرية والعاطفية في تشكيل صورة أهل البيت عليهم السلام. فشعره ليس مجرد انفعالات وجدانية، بل هو تعبير فني عميق الجذور في النصوص المقدسة وتفاسيرها ومدلولاتها. لقد وظف الوائلي هذا الموروث العظيم ببراعة فائقة، ليرسخ مكانة أهل البيت عليهم السلام ويبرز أدوارهم ويجسد فضائلهم، مستنداً في ذلك إلى ما يعتبره الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة المستمدة من المصدر الإلهي، إن شعر أهل البيت عليهم السلام في العراق المعاصر، بامتداداته التراثية الدينية العميقة، يظل شاهداً حيًّا على حيوية هذا التراث وقدرته على التجدُّد والحوار مع كل عصر.

إن الشخصيات الإسلامية في تراثنا الديني هي الأكثر أهمية في الدراسة من غيرها، لأنها رموز ذات تأثير على مر العصور وشاخصة في تراثنا الديني الذي هو رافد من روافد حياتنا ومنظومتها القيمية (الخفاجي،٢٠٢٤م:١٦).

والصورة الشعرية جزء مهم من تجربة الشاعر،تظهر فيها قدرته الإبداعية،وبذلك تكون الصورة الشعرية تشكيلا جماليا يتكون من مجموعة عناصر،ويتم تجسيد صورة الرمز المقدس بواسطة الصورة الشعرية،وهي وسيلة يقوم بها الشعراء والكتاب لكي يضمنوا وصول رسائلهم الشعرية لأن شخصيات أهل البيت عليهم السلام توثق وتؤكد صدق رسالة الأديب، وبواسطتها يتم الاستدلال على صورهم وتوظيفها من القرآن الكريم باستيفاء المعنى القرآني ،وهو أن يعمد الشاعر إلى التلميح أو الإشارة للنص القرآني من المقروء الثقافي لدى الشاعر، ويجب أن تنسجم هذه النصوص أو الأفكار موضوعيا مع نتاج الأديب، ليتشكل معنى متكامل(الأعرجي،٢٠١٣م:١٠٣).

وهنا في هذا البحث سنقوم بالتركيز على اشعار احمد الوائلي ذات المضامين الدينية من القرآن، والتي تجلت فيها صورة أهل البيت عليهم السلام.

التعريف بالشاعر:

اسمه وولادته: في مدينةِ العلمِ والعلماءِ مدينة أميرِ المؤمنينَ علي- عليه السلام- المطلَة على بحرٍ

عُرفَ باسمها رأتْ النورَ عيونُ الوائليّ وبدا أولى خطواته بها، هيَ مدينةُ النجف الأشرفْ.حيث ولدَ أحمدْ الوائليّ في النجف الأشرفْ يومَ الجمعة ١٧ ربيعْ الأول، وهوَ ميلادُ سرورِ الكائنات محمدْ المصطفى ﷺ أما سنةُ ولادته فيذكرُ معظمُ الباحثينَ والوائلي نفسهُ وأهلهُ أنَ ولادتهُ كانتْ سنةٌ (١٣٤٧هـ) الموافقُ (١٩٢٨م) (عباس، ٢٠٠٥ م: ٥٧).وهوَ أحمدْ بنْ الشيخ حسونْ بنْ الشيخ سعيدْ بنْ حمودْ الليثي الوائلي، ولدَ جدةُ سعيدْ بنْ حمودْ وهوَ عميدُ الأسرة في الحيرة وعاشَ فيها، أما أبوهُ فهوَ حسونْ بنْ سعيدْ الخطيبْ والشاعرِ الذي كانَ يعرفُ بالخلق الرفيع والاستقامة (المصدر نفسه،٥٧).

دراسته:

بدأ الوائليّ دراستهُ في السابعة منْ عمرهِ ودرسَ لدى الكتاتيب، وحفظ القرآن الكريم في مزجِ الشيخْ علي نواية، وفي نفسِ الوقت توجها نحوَ الدرسِ الحوزوي والأكاديمي، فجمعَ بينهما ليكملَ أحدهمْ الآخرِ فأنهى المرحلةَ الابتدائيةَ في مدرسة الملكْ غازي في النجف الأشرفْ ثمَ دخلَ متوسطهُ منتدى النشرِ وبعدها كلية منتدى النشرِ وتخرجَ منها بتفوقٍ ومنْ أقرانهُ في هذهِ الفترةِ والمرحلةِ صادقَ القاموسُ، محمدْ حسنْ آلَ ياسينْ، محمدْ رضا المسقطي وأحمدْ المظفر(الروازق،٢٠٠٤م:٩٥).

وبعدُ تأسيسِ كلية الفقهُ في بغدادَ عامَ ١٩٥٨م انتسبَ الوائليّ إليها وحصلَ على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية والعلومِ الإسلامية بعدَ تخرجه عام١٩٦٢م بعدَ ذلكَ أكملَ الماجستير في نفسِ الاختصاصِ منْ معهدِ الدراسات العليا في جامعة بغدادَ عامَ ١٩٦٩م وحصلَ عليها برسالته الموسومة ب(أحكامِ السجونِ بينَ الشريعة والقانون) لمْ يقفْ الوائليّ إلى هذا الحدِ بلْ واصلَ دراستهُ الأكاديميةَ بنكهة حوزوية أنْ صحَ التعبيرُ فحصلَ على شهادة الدكتوراه منْ كلية العلومُ جامعةَ القاهرة عام١٩٧٢ م عنْ أطروحته الموسومة ب(استغلالِ الأجيرِ وموقف الإسلام منه) (عباس ٢٠٠٥م:٧٦).

نتاجه العلمي:

من خلال دراستنا عن حياة الوائلي الفكرية والأدبية والدينية نجد ان احمد الوائلي قد ترك ارثا كبيرا من النتاج الفكري والادبي والاجتماعي فضلا عن محاضراته التي تُسمع إلى الآن.

هجرته وفاته:

نتيجة للخوف على حياته وحرية نشاطه الديني والدعوي، اضطر الشيخ الوائلي لمغادرة العراق سراً في عام ١٩٧٩م تقريبًا. كانت الهجرة عملية محفوفة بالمخاطر، حيث تجاوز نقاط التفتيش والمراقبة الحدودية. توجه أولًا إلى الكويت ثم إلى سوريا، التي كانت تستقبل عدداً من المعارضين العراقيين في ذلك الوقت (الساعدي، ٢٠١٠م: ١٨٩-١٩٠). وبعد سقوط نظام صدام حسين في أبريل ٢٠٠٣، شهد العراق تحولاً سياسيًا كبيرًا. استغل الشيخ الوائلي هذه الفرصة التاريخية للعودة إلى وطنه بعد غياب قارب ربع قرن (حوالي ٢٤ عامًا). عاد إلى النجف الأشرف، مركز العلم الشيعي، في يوليو ٢٠٠٣ م وسط استقبال حافل من قبل تلامذته ومحبيه وعلماء الحوزة ووجهاء المدينة. كانت عودته حدثًا بارزًا رمزًا لانتصار الإرادة الدينية على القمع (الهاشمي، ٢٠٠٥: ٤٤-٤٥).

لم تطل إقامة الشيخ الوائلي في وطنه بعد عودته من مهجره (دمشق) سوى عشرة أيام وذلك لمرضه الذي لم يمهله كثيرا. توفي في مدينة الكاظمية في بغداد، يوم ١٣ جمادي الأولى عام ١٤٢٤ هـ الموافق ١٤ تموز ٢٠٠٣ م. شيعت جنازته في موكب مهيب في شارك فيه قرابة أربعة ملايين شخص من المشيّعين من مختلف أنحاء العراق، ودفن في النجف الأشرف، بالقرب من مرقد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، في إحدى غرف صحن العبد الصالح كُميل بن زياد، كانت وفاته خسارة كبيرة للأوساط العلمية والحوزوية (الروازق،٢٠٠٤م:٨٨).

التناص والتضمين من القرآن الكريم:

يُعد القرآن الكريم المصدر الأول والأسمى للتراث الديني في الشعر العراقي المعاصر، فالقرآن ليس مجرد مصدر لفظي، بل هو مصدر دلالي ورؤيوي يمنح القصيدة عمقًا تاريخيًّا وروحيًّا، ويربط بين الماضي المقدس والحاضر المتأزم، حيث أقبل الشعراء قديما وحديثا في تشكيل صورهم لشخوص أهل البيت عليهم السلام مقتبسين ومستوحين من القرآن الكريم بصفته نصا مقدسا يعلو سائر النصوص، ومن هذا شكل القرآن الكريم المنبع الأول الذي نهل منه الوائلي في بناء الصورة العقائدية والروحية لأهل البيت عليهم السلام.

ويتجلى حضوره بعدة مستويات:

١- التضمين المباشر والاقتباس: يستخدم الشعراء الآيات القرآنية نصًّا أو جزءًا منه

داخل نسيج القصيدة، غالبًا لإضفاء قدسية على الموقف أو شخصية الممدوح (خصوصًا أهل البيت)، أو لتأكيد حقيقة عقدية أو أخلاقية.

فالتناص هو ((تكرار وحدة خطابية في خطاب اخر)) (ساميول،٢٠٠٧م:٢٢).

فنجد شطرًا مثل: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ (الإنسان: ٨) يُستحضر الحديث عن كرم الإمام علي عليه السلام أو سجاياه.

هذا الاقتباس يعمل على ربط الصفة الممدوحة مباشرة بالنص الإلهي، مما يرفع من شأنها ويثبتها (الزوبعي، ٢٠١٥م: ٧٧). وهنا يضمن الشاعر في بيته الشعري نصاً من القرآن الكريم كما هو دون تغيير وهذا هو الاقتباس الحرفي.

٢- التضمين الغير مباشر: يتجاوز الشعراء المعاصرون أحيانًا المعنى الظاهر للآية لاستنباط دلالات جديدة تتلاءم مع تجربة المدح أو الرثاء أو مع رسالة القصيدة وقد تُستعاد آيات الوعد والنجاة لترمز إلى خلود مبدأ أهل البيت عليهم السلام، أو آيات الجهاد والصبر لتوظف في سياق النضال ضد الظلم المعاصر مستلهمة من ثورتهم.

هذا التأويل يجعل النص القرآني حيًّا وقادرًا على الحوار مع اللحظة الراهنة (الحيدري، ٢٠٠٧م: ١٨٩).

فالشاعر يستحضر معنى أو مضمون اية قرآنية دون الالتزام بنصها الحرفي، بل يُعيد صياغتها بأسلوبه الشعري، فيشير إلى الأثر القرآني دون أن يقتبس نصه.

٣- الإشارة والرموز القرآنية: يعتمد الشعراء بكثافة على الرموز والحكايات القرآنية دون ذكر نص الآية صراحة فتتحول شخصيات مثل إبراهيم عليه السلام (رمز التوحيد والتضحية)، وموسى عليه السلام (رمز الصراع مع الطغاة)، وعيسى عليه السلام (رمز المعجزة والروحانية)، إلى نماذج تُقاس عليها سير ومواقف أهل البيت عليهم السلام.

كما تُستحضر أحداث مثل غزوة بدر أو أحد أو كربلاء بمدلولاتها القرآنية العميقة لقراءة الواقع المعاصر.

ذكرى كربلاء نفسها تُقرأ دائمًا عبر الآيات التي تتحدث عن الصبر والثبات والتضحية في سبيل الله (الخاقاني، ١٩٩٨م: ١١٢).

تشكيل صورة أهل البيت في القرآن الكريم في شعر احمد الوائلي:

لم تكن الآيات القرآنية في شعر احمد الوائلي مجرد إشارات أو استشهادات عابرة، بل كانت محوراً تدور حوله القصائد، ومفتاحًا لتأويل أحداث التاريخ، وأساسًا لاستنباط الحقائق الجليلة المتعلقة بهم، لقد رأى الوائلي في القرآن تصريحًا وتلميحًا بمنزلة أهل البيت عليهم السلام وولايتهم وطهارتهم وعصمتهم وكونهم الامتداد الطبيعي لرسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقول في قصيدة (إلى الكعبة الغراء) وفيها مشهد شعري عابق بالروحانية، تُستحضر فيه صورة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

دلفت إلى الوادي وفي النفس صورة	تلوح ولكن لا تبين لرائي
فآنست فوق الرمل خطو محمد	وفي الأفق أطيافاً وسحر رواء
وسيماء وجه ترسم الطهر والشذى	على كل وجه بالحمى وفناء
غداة تخطاها النبي مهللاً	ليستاف نفح الوحي عند حراء
وعاد الممدوح الوحي بين شفاهه	مقاطع آيات وجرس أداء

(الوائلي،٢٠٠٧م:٤٥)

يستهل الشاعر هذا البيت باستحضار حضور النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في مشهد وجداني عميق، إذ يشير إلى (خطو محمد) على الرمل، في تناص قرآني ضمني فكلمة (آنست) توحي بالأنس والطمأنينة، مستعارة من مشهد موسوي في قوله تعالى: ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ (طه: ١٠)، مما يضفي على البيت قداسة وإشراقًا، تصوير الخطو فوق الرمل رمزٌ لآثار النبوة التي لا تزال خالدة، وكأن الأرض تحفظ قدسية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذراتها، أما الأفق، فقد جعله الشاعر فضاءً تتجلى فيه الأرواح والأنوار، حيث الأطياف ترمز إلى الهيبة النبوية، وسحر الرواء إلى الجمال الروحي والبهاء الذي يملأ المكان. التوازي بين الأرض (الرمل) والسماء (الأفق) يشي بثنائية الحضور النبوي: بشري في الأرض، ونوراني في السماء.

البيت ينسج صورة حسية ومعنوية لحضور النبي، تنطوي على حب عميق وإجلال، وتدل على تعلّق الشاعر الروحي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بما يعكس روحانية شعر الشيخ الوائلي وتعلقه بالمقدسات.

ومن قصيدة دعاء عند الرسول الكريم ﷺ، نظمت أوائلها في مسجد الرسول الكريم، ثم أكملت ١٤٠٨هـ، تُعزّز هذه الأبيات مكانة أهل البيت عليهم السلام وتُضفي عليهم أبعاداً روحية ومعرفية عميقة، فتصوّرهم كالتالي:

يـــا رؤى جـــبريل والنـــور والأنـــ ـــــغام في نـــبرة الكتـــاب المجيـــد
يـــا عـــبير الفتـــوح يـــا وهـــج الأمـــ ـــــجاد مـــن عزمـــة الكمـــاة الصـــيد
يـــا ليـــالي القـــدر الكريمـــة قـــدراً وخشـــــوع التســـــبيح للمعبـــــود
يـــا عطـــاء القـــرآن يصـــنع دنيـــا الـــ ـــــحب في أمـــــة مـــــن الجلمـــــود
يـــا أســـاريـر مـــن محيـــا أبي الزهـــ راء عاشـــت علـــى الزمـــان المديـــد

(الوائلي،٢٠٠٧م:٥٠)

يربط الشاعر أهل البيت مباشرة بجبريل (روح القدس والوحي)، وبالنور الإلهي، وبالأنغام الكامنة في الكتاب المجيد (القرآن)،هذا الربط يوحي بأنهم ورثة العلم الإلهي، ومستودع أنوار الوحي، وهم بذلك يمثلون التجسيد الحي لرسالة القرآن ومضامينه، ويُصوّرون على أنهم عبير الفتوح ووهج الأمجاد المستمد من عزمة الكماة الصيد،و هذا يربطهم بتاريخ الإسلام البطولي والانتصارات التي تحققت بفضل تضحيات القادة الشجعان، مما يبرز دورهم المحوري في بناء الحضارة الإسلامية وحفظ الدين ويكمل الشاعر صورته تجسيد لليلة القدر وقدسيتها، فضّمن قوله تعالى في سورة القدر (الآيات ١-٥):

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

فيصفهم الشاعر بأنهم ليالي القدر الكريمة قدراً، وهذا تشبيه بالغ الدلالة، ليلة القدر هي أقدس الليالي في الإسلام، ينزل فيها القرآن وتُقدّر فيها الأمور هذا التشبيه والتضمين الغير مباشر،يرفع من منزلة أهل البيت إلى مستوى القداسة والتقدير الإلهي، ويشير إلى أنهم يحملون في وجودهم البركة والرحمة التي تتجلى في هذه الليلة المباركة،ويرى الشاعر أنهم هم عطاء القرآن الذي يستطيع أن يصنع دنيا الحب في أمة من الجلمود، هنا يبرز دورهم كمن يجسدون قيم القرآن ويحولونها إلى واقع ملموس، محوّلين القلوب القاسية (كالجلمود) إلى قلوب مفعمة بالمحبة والرحمة، مما يؤكد أنهم المفسرون الحقيقيون والعاملون

بتعاليم القرآن،كما يؤكد الشاعر على أنهم امتداد لجمال وكمال النبي محمد ﷺ، فهم أسارير من محيا أبي الزهراء استمرت عبر الزمان المديد هذا يؤكد على ارتباطهم الوثيق بالنبي، وأنهم يحملون سماته النورانية، وأن تأثيرهم وحضورهم مستمران عبر العصور.

بهذه الأبيات، يواصل الشيخ الوائلي نسج صورة متكاملة لأهل البيت عليهم السلام، تربطهم بالوحي الإلهي، والنور، والقدسية القرآنية، والبطولة التاريخية، والقدرة على تحويل المجتمع، مؤكداً على كونهم الامتداد الحي والفاعل لرسالة الإسلام.

وفي نفس القصيدة أشار الشاعر إلى امتداد هذا التعلق بأهل البيت عليهم السلام عندما حضر الشاعر عند قبر الرسول ﷺ ومقبرة البقيع والتي تضمّ بعض قبور أهل البيت عليهم السلام ليصور هذا المشهد بقوله:

أيها الزائر البقيع تأمل ... روعة الموت فوق تلك اللحود
وتمل السنا فذا من نجوم ... سكنته فلألأت بالصعيد
الثم الترب خاشعاً وتنشق ... عبق الخلد في رمال الشهيد
ها هنا راقدون قد صنعوا اليقـ ... ـظة فالمجد في ضريح الرقود
ها هنا للنبي نامت فروع ... عرفت فيهم سمات الجدود
ها هنا يرقد النبي بأهليـ ... ـه، فهم سنخه بدون قيود
ها هنا معقل الإمامة والديـ ... ـن وصنو التقى ورهط السجود
كل فعل دون المقاييس قد يفـ ... يضي إلى سيء من المردود
سأل العارفون عن سر فعل ... لم يكل بالنضج والتسديد
شدتم قبر أحمد ومنعتم ... منح أولاده بقبر مشيد
أصحيح أم يمنع المثل حكم الـ ... ـمثل وهو النضير بالتحديد
فاشمخوا لا يضيركم (آل طه) ... أن تعرى مصاحف من جلود
يا فراخاً (لفاطم) و(علي) ... جاء يسعى لبابكم مقصودي
مدداً يا أعز من فتية الكهـ ... ـف أفيضوا فكلبكم بالوصيد

(الوائلي،٢٠٠٧م:٥٣-٥٤)

أُستقطعت هذ الابيات من القصيدة باعتبارها وحدة كاملة، وتعتبر من أجمل ما كتبه الشاعر احمد الوائلي في حب آل البيت ومدى التواضع في حضرتهم، حيث تُظهر هذه الأبيات عمق الإجلال والمحبة لأهل البيت عليهم السلام، وتبرز مكانتهم الرفيعة في الفكر الشيعي. يراد بالتجربة الشعورية انفعال الأديب أو الفنان بمؤثر ما،أو موقف من المواقف يتحرك له وجدانه فيسعى إلى التعبير عنه تعبيرا موحياً جميلاً مؤثراً في نفس المتلقي (صالح،١٩٨٥م:٥٢). حيث صوّر السلالة النبوية الطاهرة على أنهم فروع نابعة من النبي، وسنخه (أصله) بلا قيود، مما يؤكد صلتهم الوثيقة بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكونهم امتداداً له، ويكمل قوله ويصفهم بمعقل الإمامة والدين حيث يُشار إليهم بأنهم مركز الإمامة ومحور الدين، ومعدن التقوى والسجود، مما يدل على دورهم القيادي والروحي في حفظ الدين وتوجيه الأمة بعد النبي، وبيّن ايضا المظلومية والمنزلة الرفيعة، فيعكس الشاعر ظلم من منعهم من قبور مشيدة، مقارنة بقبر النبي المبني، ولكنه في الوقت نفسه يؤكد على منزلتهم الرفيعة التي لا تتأثر بالماديات، فهم (آل طه) الذين لا يضرهم أن تعرى مصاحف من جلود، في إشارة إلى أن قيمتهم تتجاوز المظهر المادي، فهم جوهر الدين،كما تضمن هنا تناصًا قرآنيًا واضحًا في البيتين الأخيرين، الأول اسم(طه) فهو اسم سورة في القرآن الكريم (سورة طه، رقم ٢٠). يُعتبر هذا الاسم من أسماء النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاستخدام (آل طه) هو إشارة واضحة إلى أهل بيت النبي.

والتناص الآخر الذي في قوله (يا أعز من فتية الكهف أفيضوا فكلبكم بالوصيد) يتضمن هذا البيت تناصًا مباشرًا مع قصة أصحاب الكهف في سورة الكهف، وتحديدًا ذكر الكلب الذي كان معهم عند مدخل الكهف، قال تعالى في سورة الكهف (الآية ١٨): ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، فرسم لهم صورة الملاذ والمرجع فيتوجه الشاعر إليهم بطلب المدد والعون، معبراً عن حاجة الناس إليهم كمرجع وملجأ في الشدائد، مستخدماً صورة الكلب الباسط ذراعيه بالوصيد، في إشارة إلى التواضع الشديد واللجوء الكامل لهم،أو كأن حاله كحال كلب أصحاب الكهف في قربه منهم وخدمته لهم.

إن توظيف هذه العناصر القرآنية في القصيدة يعزز المعنى الشعري فنّياً وروحياً، فنطق

الشاعر بكلمات القرآن يضفي على نصه قداسة إضافية، ويثري صورة أهل البيت عليهم السلام بكونهم أعظم منزلةً وأقرب رحمة.

ويكرر الشاعر هذه الآية وفي قصيدة أخرى، وهي قصيدة غدير علي عليه السلام ونظمت في لندن عام ١٩٧٨بعيد الغدير، وبمعنى وصورة أخرى فيقول:

أبـا التـراب وبعـض التـرب يحـكمه	سـبخ وتربـك حلـو أخضـر العـود
أنـا عمـيد بـه أشـدو هـواه وهـل	مـر الغـرام بقلـب غـير معمـود
هـذا رقيمـك خطتـه همـوم فـتى	عـن كهفـك الشـامخ الـقدسي مصـدود
إني بسـطت ذراعـي حـاملاً أمـلاً	أن أنتـهي لوصـيد غـير موصـود

(الوائلي ٢٠٠٧م:٦٧)

تتجلّى في هذه الأبيات روحٌ شعريةٌ مُفعمةٌ بالحب والولاء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث ينسج الشاعر من الكلمات لوحةً فنيةً يمزج فيها العاطفة الصادقة بالعمق الروحي، مع توظيفٍ بارعٍ للتناص القرآني الذي يضفي على النص بعداً إيمانيًا وجماليًا فريدا حيث يُلاحظ في القصيدة توظيف الشاعر لبعض الألفاظ والصور القرآنية، مما يعزز المعنى ويُعلي من شأن الممدوح، علي عليه السلام. هذا التناص لا يأتي مُجرداً، بل يأتي ليُؤكد على المكانة السامية لأهل البيت عليهم السلام في الفكر الإسلامي، وكيف أن حبهم والارتباط بهم يُعد جزءًا لا يتجزأ من الإيمان.

(أبا التراب) هنا يشير الشاعر إلى كنية أطلقها النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإمام علي عليه السلام. لكن الشاعر يتجاوز المعنى الظاهري للتراب، ليُقارن بين التراب السبخ (الرديء) الذي يحكم البعض، وبين تراب الإمام علي عليه السلام الذي يصفه بالحلو أخضر العود، مُلمّحًا إلى الخير والنماء والبركة المرتبطة بشخصيته ومكانته، وهو ما يتناغم مع فكرة الأرض الطيبة التي تنبت الزرع الحسن في القرآن الكريم و يشير الشاعر إلى قصيدته هذه برقيمك، أي كتابك أو لوحتك، مُعترفًا بأنها كُتبت بخط الهموم والأشواق من فتى يشعر بأنه مصدود أو محجوب عن كهف الإمام الشامخ القدسي، هنا يُمكن أن يُشير إلى مكانة الإمام العالية، أو إلى حضرته الروحية التي يتمنى الشاعر أن ينال القرب منها، مُعبراً عن حزنه لعدم تمكنه من الوصول المباشر إلى هذا الكهف الروحاني الآمن، إني بسطت ذراعي حاملاً أملاً أن أنتهي

لوصيد غير موصود، يُمكن قراءة هذا الشطر في ضوء قصة أهل الكهف، وتحديداً قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف: ١٨]. الوصيد هو الفناء أو عتبة الباب، الشاعر يستخدم صورة بسط الذراعين تعبيراً عن التضرع والأمل، ويُشير إلى وصيد غير موصود أي باب مفتوح لا يُغلق، مما يُوحي باللجوء إلى الإمام علي عليه السلام كباب للرحمة والإجابة، وكهف آمن للمستجير، وهو يتوق إلى هذا الدخول الآمن والمقبول.

تُعدّ هذه القصيدة نموذجًا رائعًا لشعر الوائلي الذي يتخذ من حب أهل البيت عليهم السلام محوراً له، يتجلّى فيها بوضوح كيف يمكن للشعر أن يُوظّف النصوص الدينية لخلق معانٍ جديدة وعميقة، تُعبر عن الحب والولاء الصادق ((ان توظيف الموروث الديني في نصوص الوائلي صوّر صوراً محملة بطاقات شعرية فيها دلالات معمّقة تترك أثرها على المتلقي، فضلا عما تحمله من قيمة فنية مبدعة)) (السعيدي،٢٠١٤م:٢٨) و التناص القرآني في هذه الأبيات لم يكن مجرد اقتباس، بل كان توظيفًا مُبدعًا يخدم المعنى ويُثري التجربة الشعرية، ويُعلي من شأن الإمام علي عليه السلام كباب للرحمة، ووطن للروح في مسيرة المؤمن نحو الكمال.

يعود الشاعر لتأكيد التناص مع قصة أهل الكهف، مُجدداً صورة بسط الذراع كتعبير عن التضرع الشديد والرجاء، كما ذكرنا سابقًا وهنا، يُحدد الشاعر مكان بسط ذراعيه بباب الكهف، مُشيراً إلى الإمام علي عليه السلام نفسه كالكهف الآمن والملاذ الروحي، لكن الأهم هو جملة حيث الوصيد عندك طور فكلمة طور تحمل هنا دلالةً قرآنيةً عميقةً، مُستلهمةً من جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام في سورة طه ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾ (٨٠) والقصص (الاية ٢٩-٤٦)، وهو رمز للمكان المقدس الذي تتجلى فيه العظمة الإلهية فيقول في قصيدة في محراب العشق التي ألقيت في النبطية في يوم نظمها ١٣ رجب ١٤١٨هـ:

سيدي إن بعدت عنك فلن يب	عد وجه على القلوب أمير
فاحتفر لي على ترابك شبراً	وحوالي مشبر وشبير
لا تذرني وأنت أهلي بعيداً	إنني للندى الوهوب فقير
هانا باسط ذراعي بباب الـ	ـكهف حيث الوصيد عندك طور

(الوائلي ٢٠٠٧م:٧٨)

تُظهر هذه الأبيات تطوراً في تجربة الشاعر الروحية، حيث ينتقل من مجرد التعبير عن الحب إلى التوسل المباشر والطلب الروحي، مُستخدماً لغةً غنيةً بالرموز والتناص القرآني الذي يُعمّق المعنى ويُثري التجربة الإيمانية للقارئ، مُؤكداً على مكانة الإمام علي عليه السلام كملجأ، ومَزار، وباب للعطاء الإلهي، فهنا يصل الشاعر إلى ذروة التواضع والتفاني بطلبه من الإمام علي عليه السلام أن يُخصّص له قبراً صغيراً (شبراً وحوالي مشبر وشبير) على ترابه، أي بالقرب من مرقده الشريف هذا التعبير ليس مجرد أمنية بالدفن، بل هو رمزٌ للتمني بالانتساب الكامل للإمام في الحياة والممات، والتبرك بتراب أرضه.

والسبب في تكرار الشاعر آيات أصحاب الكهف في شعره، إن السرد القرآني حول أصحاب الكهف يخدم في القصيدة معانٍ عدة، منها يُظهر ثبات الإيمان والثقة بنصرة الله في أحلك الظروف فعندما يستحضر الشاعر فتية الكهف وهو يخاطب أهل البيت عليهم السلام، فهو يرسم نمطًا من التضامن بين رموز الإيمان في التاريخ الإسلامي، وأيضاً تعبيراً عن التضرع والأمل كما أسلف الباحث.

وفي قصيدة إلى أبي تراب عليه السلام التي نظمت في النجف الأشرف ١٩٧٧م، يواصل الشاعر احمد الوائلي في رسم صورة شاملة ومتكاملة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، مُبرزةً ازدواجية شخصيته الفذة، الشجاعة في الحرب والخشوع في السلم، العلن والسر، لتُظهر بذلك جوانب متعددة من عظمته، كما تستمر في توظيف التناص القرآني لتعميق المعاني وإضفاء القدسية على الممدوح.

أأبا تراب وللتراب تفاخر	إن كان من أمشاجه لك طين
والناس من هذا التراب وكلهم	في أصله حمأ به مسنون
فسما زمان أنت في أبعاده	وعلا مكان أنت فيه مكين
في الحرب أنت المستحم من الدما	والسلم أنت التين والزيتون
والصبح أنت على المنابر نغمة	والليل في المحراب أنت أنين
ما عدت الحلو في هواك متيماً	وصفاتك البيضاء حور عين

(الوائلي ٢٠٠٧م،٨٣-٨٤)

تُشكل هذه القصيدة تحفة شعرية تُبرز الجوانب المتعددة لعظمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث يعتمد الشاعر بشكل متداخل على التناص القرآني لتعميق المعاني وإضفاء القدسية على الممدوح، مُركزًا بشكل ضمني على أن أهل البيت عليهم السلام جميعًا يتشاركون في مقام واحد من الطهر والعصمة والفضل.

يفتتح الشاعر قصيدته بنداء أبا تراب، وهي كنية النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام كما اسلفنا، ليُضفي عليها معنًى عميقًا فهنا يرفع الشاعر من شأن التراب نفسه إذا كان قد خُلق منه طين الإمام علي عليه السلام، في إشارة إلى طهارة أصله وعلوّ منزلته، ثم يُقارن ذلك بأصل سائر البشر، مُستخدمًا التعبير القرآني: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ (الحجر: ٢٦)، أي طين أسود متغير الرائحة، هذا التناص يُبرز التمييز الإلهي للإمام علي عليه السلام في الخلق والأصل، مما يجعله ليس كبقية البشر، بل كصفوة مختارة.

هذا التمايز في الأصل والطهارة يتصل مباشرة بمفهوم آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)، والتي تُعتبر ركيزة أساسية لمقام أهل البيت عليهم السلام جميعًا، فهم مُطهرون من كل رجس، مما يؤكد على وحدتهم في هذا المقام الإلهي.

كما ويُبرز الشاعر ازدواجية شخصية الإمام علي عليه السلام بشكل بديع، مُوظفًا التناص القرآني ففي الحرب، يُصوّر الإمام علي عليه السلام بالمستحم من الدما، كناية عن شجاعته وإقدامه الذي لا يُضاهى. أما في السلم، فيُشبهه بالتين والزيتون، وهو تناص واضح مع بداية سورة التين: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ (التين: ١-٣). هذه الثمرات المباركة ترمز إلى الخير والنماء والبركة، مما يُعكس جانب الإمام علي عليه السلام الهادئ والروحاني والمثمر، ان هذا الجمع بين القوة في الحق واللين في السلم هو سمة مشتركة لجميع الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، فقد كانوا أشد الناس بأسًا على الباطل وألينهم جانبًا للمؤمنين.

ثم يُصور الشاعر الإمام علي عليه السلام كصوت الحق في العلن وخشوع العبد في السر. الصبح على المنابر يمثل فصاحته وحكمته التي تُشبه "النغمة" المؤثرة. بينما الليل في المحراب يكشف عن أنين الخشوع والتضرع، وهو ما يتوافق مع وصف القرآن لعبادة المتقين في الليل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ (السجدة: ١٦). هذه الصفات، من البلاغة الظاهرة إلى

العبادة الخفية، هي ميزة لأهل البيت عليهم السلام جميعًا، فهم قادة في النهار وعباد في الليل.

ويختتم الشاعر وصفه بالإشارة إلى عمق حبه وجمال صفات الإمام، فيُعبر الشاعر عن بلوغه أقصى درجات العشق للإمام علي عليه السلام، حيث يرى في صفاته البيضاء في النقاء والطهارة جمالًا يُضاهي جمال الحور العين، وهو مصطلح قرآني يُشير إلى نساء الجنة البالغات في الجمال والطهر، كما ورد في سورة الدخان: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤). هذا التشبيه يرفع من قدر صفات الإمام علي عليه السلام إلى مستوى القدسية والجمال الإلهي، ويُشير إلى أن حب أهل البيت عليهم السلام ليس مجرد عاطفة، بل هو ارتباط بالكمال والجلال الإلهي المتجسد فيهم.

إن هذا الجمال الروحي وكمال الصفات لا يخص الإمام علي عليه السلام وحده، بل هو سمة جميع أهل البيت عليهم السلام، الذين يمثلون نورًا واحدًا يستمدون منه كمالهم وجمالهم الروحي، باختصار، تُظهر قصيدة أحمد الوائلي توظيفًا بارعًا للتناص القرآني في مدح الإمام علي عليه السلام، لا لبيان فضله وحده، بل لتأكيد مكانة أهل البيت عليهم السلام جميعًا، فالشاعر يستلهم الآيات ليُضفي على الإمام صفات الطهر، والنماء، والقيادة، والخشوع، والجمال الروحي، وهي صفات جامعة تُؤكد على وحدة مقام هذه السلسلة المباركة، كونهم جميعًا مصابيح هدى ونورًا واحدًا مستمدًا من الرسالة الإلهية.

ويكمل الوائلي صوره في أهل البيت، وفي رحاب سيدة نساء العالمين في قصيدة الزهراء عليها السلام والتي نظمت عام ١٩٧٩ في أحد مستشفيات لندن يقول فيها:

كيف يدنو إلى حشاي الداء ... وبقلبي الصدِّيقة الزّهراءُ

ثم فيها إلى مودة ذي القربى ... سبيل يمشي به الأتقياء

(الوائلي،٢٠٠٧م:٨٩)

حيث تتجلّى في هذه الأبيات الشعرية محبة عميقة وإيمان راسخ بمكانة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وتبرز الأبيات كيف تُعدّ هذه المحبة درعًا واقيًا من كل سوء، ومفتاحًا للتقوى والصلاح، يستهل الشاعر بيته الأول بسؤال، هذا السؤال ليس للاستفهام، بل للتأكيد على استحالة وصول الداء (بمعناه الشامل: الأمراض، الأحزان، الشرور، الذنوب) إلى قلبٍ وعقلٍ امتلأ بمحبة الزهراء عليها السلام.فالمعنى أن حب الزهراء عليها السلام يطهر القلب ويحصّنه من كل ما

يمكن أن يلوثه أو يؤذيه، وكأن وجودها في القلب بمثابة حصن منيع ضد الشرور، ثم فيها إلى مودة ذي القربى سبيل يمشي به الأتقياء ويأتي البيت الثاني ليكمل المعنى ويوضح الطريق، فمحبة الزهراء عليها السلام ليست غاية بحد ذاتها، بل هي وسيلة وطريق إلى مرضاة الله، عبر التمسك بمودة أهل البيت عليهم السلام. هذا التعبير يتناص بشكل مباشر وواضح مع الآية الكريمة في سورة الشورى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ (الآية ٢٣). هذه الآية تعتبر من أهم الأدلة القرآنية على وجوب محبة أهل البيت عليهم السلام على المسلمين، فالشاعر هنا يؤكد أن محبة الزهراء هي جزء لا يتجزأ من هذه المودة الواجبة، بل هي المدخل لها، ان استخدام الشاعر لألقاب مثل الصِّدّيقة وارتباطها بالآية القرآنية التي تصف مريم عليها السلام بالصدّيقة، يعلي من شأن الزهراء ويؤكد عصمتها وطهارتها، كما أن الإشارة إلى مودة ذي القربى وارتباطها بالآية القرآنية، يضع حبها في إطار فريضة إلهية وواجب شرعي على المسلمين، و يختتم الشاعر بيته بالإشارة إلى أن هذا الطريق، وهو طريق مودة الزهراء وأهل البيت عليهم السلام، هو السبيل الذي يسلكه ويتبعه المؤمنون الصادقون والأتقياء الذين يخشون الله ويسعون لرضاه، هذا يضفي على محبة أهل البيت صفة التقوى والصلاح، ويجعلها علامة مميزة للمؤمن الحق.

ان الوائلي جعل السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ليست فقط شخصية تاريخية عظيمة، بل هي محور إيماني وروحاني، محبتها واجبة شرعًا، وهي مفتاح للحصانة الروحية والتقوى، وطريق سالك يسلكه الأتقياء للوصول إلى الله سبحانه وتعالى. ويرى عز الدين إسماعيل ((ان الصورة الشعرية تركيبة حسية عاطفية تنتمي إلى عالم الواقع والملموسات))(إسماعيل،٢٠١٣م:٨٢).

وتُعد قصيدة الإمام الحسن نصًا شعريًا بديعًا يجمع بين الفصاحة ورسوخ المعنى، وهي شهادة شعرية على مكانة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ودوره في الإسلام والتي نظمت عام ١٩٨٧ في دمشق:

يا من تمر به النجوم وطرفه	نحو السماء مصوب ومصعد
تتناغم الأسحار من ترديده	إياك ربي أستعين وأعبد
يتلو الكتاب فينتشي من وعده	ويهزه وقع الوعيد فيرعد

خلــق النجــوم بدفئــها وشــعاعها حتــى لمــنتنة الحضــيض تــزود

أنحــى عليــك النــاكثون بغــدرهم والقاسطــون المارقــون تمــردوا

(الوائلي،٢٠٠٧م:٩٤-٩٥)

تتجلى في هذه الأبيات براعة الشاعر في توظيف التناص الديني، لا سيما مع آيات القرآن الكريم، ليُبرز عظمة الإمام الحسن ويُعلي من شأنه، مُقدمًا إياه كنموذج إسلامي متكامل حيث جسدّ حالة الإمام الحسن عليه السلام التعبدية وارتباطه بالله تعالى. أما البيت الثاني يحمل تناصًا دينيًا واضحًا مع الآية الكريمة من سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٥). هذا التناص يُضفي على شخصية الإمام الحسن صفة الخشوع العميق والتوحيد الخالص، ويُظهر مدى قربه من الله سبحانه وتعالى، فالشاعر لا يكتفي بذكر التلاوة، بل يجعل الأسحار تتناغم من ترديده لهذه الآية، وهي صورة شعرية تُعبر عن شدة تأثير هذه العبادة وسموّها، ويُكمل الشاعر تصوير حالة الإمام مع القرآن الكريم، وهذا البيت يُبرز تفاعل الإمام الحسن عليه السلام العظيم مع آيات القرآن الكريم، سواءً كانت آيات وعد بالخير والثواب، أو آيات وعيدٍ بالعقاب، هذا التفاعل يُعد تجسيدًا حيًا لقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ (الحشر: ٢١). فالإمام لا يقرأ القرآن فحسب، بل يتفاعل معه بروحه ومشاعره، فينتابه الابتهاج عند الوعد والرعدة والخوف عند الوعيد، وهذا يعكس عمق إيمانه وخشوع قلبه.

ثم ينتقل الشاعر إلى بيت يبدو في ظاهره وصفًا لخلق طبيعي، ولكنه يحمل دلالة أعمق:

خلــق النجــوم بدفئــها وشــعاعها حتــى لمــنتنة الحضــيض تــزود

هذا البيت، وإن كان يُشير إلى خلق النجوم، إلا أنه يُمكن فهمه كإشارة إلى عظمة الخالق الذي يُسخر مخلوقاته العظيمة (النجوم) لخدمة كل شيء، حتى "منتنة الحضيض" أي أضعف وأقل الأشياء. وفي سياق القصيدة التي تتحدث عن الإمام الحسن عليه السلام، يُمكن أن يُفهم هذا البيت كدليل على عظمة الإمام نفسه، الذي، وإن كان عظيم الشأن، فإنه يهبط إلى مستوى أدنى ليُضيء ويُفيد حتى أقل الناس.

ويختتم الشاعر القصيدة ببيان مظلومية الإمام الحسن عليه السلام وغدر الأعداء به.

هذا البيت يُعد تناصًا تاريخيًا ودينيًا مع الأحداث التي وقعت بعد وفاة النبي ﷺ، والتي شهدت ظهور جماعات الناكثين (أهل الجمل)، والقاسطين (معاوية وجماعته في صفين)، والخوارج (المارقين). هذه المصطلحات تُستخدم في الأدبيات الإسلامية لوصف الجماعات التي خرجت على الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام من بعده، الشاعر هنا لا يكتفي بذكر الأحداث، بل يستخدم المصطلحات الدينية التي تُشير إلى الانحراف عن الحق والتمرد على الخليفة الشرعي مما يُضفي على أبياته بعدًا دينيًا يُدين هؤلاء المتمردين.

ذلك لأن الصورة الإيحائية أكثر تأثيراً في النفس من الوصفية التقريرية المباشرة(مصطفى،٢٠١٤م:٤١).

في الختام، تُقدم قصيدة أحمد الوائلي عن الإمام الحسن عليه السلام نموذجًا فريدًا في توظيف التناص الديني، حيث ينسج الشاعر بمهارة فائقة آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والمفاهيم الإسلامية في نسيج شعري متكامل، هذا التناص لا يُثري النص جماليًا فحسب، بل يُعزز من حجج الشاعر ويُضفي على أبياته قوة وسلطة، مُقدمًا الإمام الحسن عليه السلام كشخصية عظيمة مُؤيدة بالنص النبوي والقدسية القرآنية، ومظلومة من قبل من انحرف عن نهج الحق، فالقصيدة ليست مجرد مدح، بل هي تحليل عميق لمكانة الإمام ودوره التاريخي والديني، مُستخدمة التناص كأداة لإظهار الحق وبيان الباطل.

وفي نفس القصيدة جدد الشاعر مكانة أهل البيت وارتباطهم بالرسول ﷺ فيقول:

أولاء هم عدل الكتاب ومن بهم	نهج النبي وشرعه يتجدد
وهم ذوو قربى النبي فويل من	قتلوا بقتلهم النبي والحدوا

(الوائلي،٢٠٠٧م:٩٥-٩٦)

تُعدّ أبيات أحمد الوائلي هذه من أبلغ ما قيل في حق أهل البيت عليهم السلام، إذ تجمع بين عظم مكانتهم وشدة الوعيد لمن آذاهم، هذه الأبيات تُشكل مرثية عميقة، وتوبيخًا شديدًا لكل من تجاوز حدوده بحق ذرية النبي ﷺ.

يستهل الشاعر الوائلي بيته الأول بتأكيد الصلة الوثيقة بين أهل البيت والنبي الأكرم ﷺ بعبارة ذوو قربى النبي، هذه العبارة لا تعني مجرد القرابة النسبية، بل تُشير إلى مكانة

خاصة وعظيمة خصّهم الله بها، وجعل لهم من الحقوق والاحترام ما لا يمكن تجاهله، فالقربى هنا تحمل دلالات المحبة، المودة، والاحترام الواجب لهم كجزء لا يتجزأ من رسالة النبي وحرمته، الاعتراف بهذه القربى هو اعتراف بمكانتهم الروحية والاجتماعية التي أرادها الله لهم، وهنا يتجلّى التناص القرآني بوضوح، حيث تستدعي عبارة ذوو قربى النبي مباشرة الآية الكريمة من سورة الشورى، والتي تُبرز حق المودة لذوي القربى كأجر للرسالة النبوية، وقد مرّ ذكرها سابقا. هذه الآية تُعدّ حجر الزاوية في فهم مكانة أهل البيت، إذ جعل الله تعالى مودتهم أجرًا على تبليغ الرسالة، فمن يوالي النبي، عليه أن يوالي ويودّ أهله وذوي قرباه، وبالتالي، فإن أي فعل يمسّهم بسوء يُعتبر خروجًا عن هذه المودة الواجبة شرعًا، ويُنتقص من أجر الرسالة نفسها. يمكن أيضًا الإشارة إلى قوله تعالى في سورة الإسراء (الآية ٢٦): ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾، الذي يؤكد على ضرورة إعطاء ذوي القربى حقوقهم.

استخدم الوائلي لفظ ويل، وهو لفظ قرآني يُفيد الوعيد الشديد والعذاب الأليم، كما ورد في مواضع عديدة في القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (المطففين: ١). هذا الوعيد يُوجّه إلى كل من شارك أو تسبب في قتل أهل البيت عليهم السلام، الأدهى والأمرّ هو ربط فعل القتل هذا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه: قتلوا بقتلهم النبي. هذا الربط يُبرز مدى فداحة الجريمة، فقتل ذريته وأقربائه يُعدّ طعنًا في قلب النبوة ومكانتها. إنه ليس مجرد قتل لأفراد، بل هو محاولة لإطفاء نور الرسالة والاعتداء على حرمتها التي تتجسد في أهل بيته، هذا المعنى يُعزّز فكرة أن الإساءة لأهل البيت هي إساءة مباشرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولرسالته.

يُختتم البيت بكلمة والحدوا، والتي تعني الميل عن الحق والاستقامة، أو الخروج عن جادة الصواب في الدين ولإلحاد هنا لا يُقصد به بالضرورة إنكار وجود الله، بل يُشير إلى الانحراف عن مبادئ الإسلام الأساسية التي تُعلي من شأن النبي وأهل بيته، فالاعتداء على من أمر الله بمودتهم وخصّهم بمكانة رفيعة، يُعتبر إلحادًا بمعنى الخروج عن حدود الله وعن جوهر الدين الذي يدعو إلى المحبة والتراحم، خاصة تجاه من هم أقرب إلى رسول الله، إنه وصف لمن ارتكب هذه الجريمة بالخروج عن الفطرة السليمة والمنهج القويم، وكأنهم ارتدوا عن الإيمان بمودة أهل البيت التي هي جزء لا يتجزأ من الإيمان.

بهذه الأبيات، لا يقدم احمد الوائلي مجرد مرثية، بل يُرسل رسالة قوية تُذكر بمكانة

أهل البيت عليهم السلام وتُحذر من مغبة الاعتداء عليهم، مؤكداً أن هذا الاعتداء هو خروج عن دين الله ومقاصده.

ويرسم الشيخ الوائلي لوحة شعرية خالدة للإمام الحسين عليه السلام من قصيدة أُلقيت في حفل مولد الحسين في النجف أيام حكم عبد السلام عارف عام ١٩٦٤م بقوله:

أبا الطف ما جئنا لنبني بلفظنا	لمعناك صرحاً إن معناك أمنع
متى بنت الألفاظ صرحاً وإنما	الصروح بمقدود الجماجم ترفع
ألا إن برداً من جراح لبسته	بنى لك مجداً من جراحك يصنع
وموضحة تعلو جبينك منبراً	خطيب بما يجري من الدم مصقع

(الوائلي:٢٠٠٧م:٩٨)

تُعدّ هذه الأبيات للشاعر أحمد الوائلي، شهادة شعرية بليغة وعميقة في حق الإمام الحسين عليه السلام، حيث تنتقل من مجرد المديح اللفظي إلى تمجيد التضحية والفداء التي بنى بها الإمام مجده الخالد، فيُخاطب الشاعر الإمام الحسين عليه السلام بلقب أبا الطف، في إشارة مباشرة إلى واقعة كربلاء، حيث كان الطف هو مسرح شهادته وتضحيته العظمى، وهنا يمكن استشعار تناص ضمني مع فكرة الشهادة بالدم ودلالاتها في القرآن الكريم، فعلى الرغم من عدم وجود آية نصية تصف الدم كخطيب، إلا أن القرآن يرفع منزلة الشهداء ويُبرز عطاءهم الذي يُعتبر أبلغ من أي كلام، فالشهيد بدمه يُقدّم برهانًا عمليًا وتضحية لا تُضاهى، وهذا العطاء يُصبح لسان حاله وشاهداً على إيمانه ويقينه. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩) يُعزّز فكرة أن عطاء الشهيد حيّ ومتكلم، وإن لم يكن باللسان، فبآثاره وشهادته التي تتجاوز الزمان والمكان.

وفي كلمة الصرح التي استخدمها الشاعر عدة مرات فإنه يستعير هذا المفهوم القرآني كرمز للبناء العظيم، الشامخ، والخلود هو لا يتحدث عن بناء مادي، بل عن بناء معنوي للمجد والعظمة، فالوائلي عندما عمد إلى التناص إنما عمد للاستشهاد والدلالة والاشارة،ولم يعمد إلى صنعة بديعية تزيينية ويمكن القول لدعم الفكرة والتوكيد والتوضيح (السعيدي،٢٠١٤م:٣٦). قال تعالى في سورة النمل ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً

﴿وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ النمل (الآية ٤٤). في هذه الآية، الصرح هو بناء عظيم مُغطى بالزجاج أو القوارير، مما يعطي انطباعًا بأنه مياه عميقة، هنا أيضًا تُشير إلى بناء فخم وعظيم ومتقن، والتناص هنا يكمن في استحضار الدلالة القرآنية للصرح كرمز للعلو والشموخ والبناء العظيم، ليُقرنها الشاعر بمجد الإمام الحسين عليه السلام فالصرح هنا ليس بناءً من طين أو زجاج، بل هو صرح المجد الحسيني الذي لا يمكن للألفاظ أن تبنيه، وهذه العاطفة لا تنبع من مجرد وصف سطحي، بل هي إقرار بأن مكانة الإمام الحسين تتجاوز قدرة الألفاظ على التعبير عنها.

يقول الشاعر ما جئنا لنبني بلفظنا لمعناك صرحاً، أي أن الكلمات والمدائح اللفظية مهما بلغت، لا يمكنها أن تُحيط بعظمة معنى الحسين، فمعناه أمنع، أي أشد وأقوى وأعمق من أن تُقيّده الألفاظ أو تُحصره الجُمل، إذًا، استخدام كلمة صرح في هذه الأبيات ليس مجرد اختيار مفردة، بل هو استدعاء لدلالاتها القرآنية التي تُفيد العظمة والارتفاع والخلود في البناء، ليطبقها على بناء المجد المعنوي للإمام الحسين، مؤكداً أن هذا المجد لا تُبنيه الكلمات، بل تُبنيه التضحيات الجسيمة.

الخاتمة:ـ

يتجلى من خلال المبحث السابق أن التراث الديني الإسلامي، المتمثل بقرآنه الكريم، لم يكن مجرد مصدر إلهام لشعر أحمد الوائلي في تصوير أهل البيت عليهم السلام، بل كان هو الأساس المتين الذي شيد عليه بنيان صورته الشعرية والعقائدية. لقد استطاع الوائلي، بفهمه العميق وإيمانه الراسخ، أن يستنطق النصوص المقدسة، وأن يحول دلالاتها المجردة إلى صور شعرية نابضة بالحياة، مشبعة بالعاطفة الجياشة، والمنطق المحكم. فشعره هو ترجمة فنية عالية لمفاهيم القرآن حول أهل البيت عليهم السلام. إن صور الولاية والطهارة والعصمة والعلم والمرجعية والخلافة والنجاة التي رسمها لهم، جميعها متجذرة في آيات بينات. لقد جعل من شعره مرآة صادقة تعكس ما أراده الله ورسوله لأهل بيته الطاهرين، فكان بذلك شاعراً مجدداً للوعي بحقائق الإسلام الأصيلة المرتبطة بمحبة واتباع أهل بيت النبوة عليهم السلام، مستنداً في ذلك إلى أقوى الحجج وأوضح البراهين المستمدة من الموروث الديني المقدس. إن دراسة توظيف الوائلي لهذا الموروث تكشف عن عمق انتمائه الفكري والعقدي، وعن براعة أدواته الشعرية في خدمة العقيدة وتجسيد الحق.

قائمة المصادر والمراجع

- إن خير مانبتديء به القرآن الكريم.

١. إسماعيل، عز الدين(٢٠١٣م). الادب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر، القاهرة.

٢. الاعرجي، سلام (٢٠١٣م). الكتابة ومفهوم التناص، مجلة الرقيم: العدد٣.

٣. الحيدري، إبراهيم. (٢٠٠٧). التراث في الشعر العراقي المعاصر. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

٤. الخاقاني، علي. (١٩٩٨). شعراء الغري (ج ١٢). النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية.

٥. الخفاجي، سمير (٢٠٢٤م). صورة الرسول محمد ﷺ في الشعر العراقي الحديث(١٩٥٨-٢٠٢٠م) دراسة تحليلية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء.

٦. الروازق، صادق (٢٠٠٤م). امير المنابر، ط١، قم: الإنسانية، جامعة.

٧. الزوبعي، مهدي. (٢٠١٥). الاستدعاء التراثي في شعر أهل البيت عليهم السلام في العراق. مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، (١٧)، ٦٩-٨٨.

٨. الساعدي، مهدي (٢٠١٠). الشيخ أحمد الوائلي كما عرفته: سيرة وفكر، دمشق، سوريا: دار البشائر.

٩. ساميول، تيفين.(٢٠٠٧م).التناص ذاكرة الاديب،ت نجيب غزاوي،منشورات اتحاد الكتاب العربي.

١٠. السعيدي، قاسم (٢٠١٤م). الرموز التراثية في شعر أحمد الوائلي، جامعة بغداد، كلية التربية للعلوم الإنسانية.

١١. صالح، احمد (١٩٨٥م). قضايا الأدب الإسلامي، دار المنارة، جدة، السعودية.

١٢. عباس، غانم نجيب (٢٠٠٥م). الشيخ الدكتور أحمد الوائلي مفكرا ومربيا وخطيبا وشاعرا، بغداد.

١٣. مصطفى، فائق (٢٠١٤م). في النقد الحديث منطلقات وتطبيقات، مكتبة اللغة العربية، بغداد.

١٤. الهاشمي، محمد رضا (٢٠٠٥). عودة العلماء: الشيخ الوائلي أنموذجا مجلة النجف الأشرف.

١٥. الوائلي احمد (٢٠٠٧م). ديوان الوائلي، شرح وتدقيق سمير شيخ الارض، ط١، لبنان، مؤسسة البلاغ.